في سفر فقرا قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ثم قال صلى الله عليه
وسلم قرات بكم ثلثا القران وربعه قال فوالله لقد كنت مع كثير المال
اذا سافرت اكون ابذاذهم واقلهم مالا فما زلت اقراهما صرت من احسنهم
هيئة واكثرهم زادا حتى ارجع. قال ابن الخطيب والوجه في انها تعدل
ربع القران هو ان القران مشتمل على الامر بالمامورات والنهي عن
المحظورات وكل واحد منهما ينقسم الى ما يتعلق بالقلوب والى ما يتعلق
بالجوارح وهذه السورة مشتملة على النهي عن المحرمات المتعلقة بافعال
القلوب فيكون ربع القران. واخرج ابن الانباري عن نوفل بن فروة
الاشجعي قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اوصني قال
اقرا عند منامك قل يا ايها الكافرون فانها براءة من الشرك. وقال
ابن عباس رضي الله عنه ليس في القران اشد غيظا لابليس لعنه الله
من هذه السورة لانها توحيد وبراءة من الشرك. وقال الاصمعي
كان يقال لقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد المقشقشتان
اي انهما يبريان من النفاق. وقال ابو عبيدة رضي الله عنه كما
تقشقش الهناء الجرب فيبريه. قال ابن السكيت يقال للقرح
والجدري اذا يبس وتقرف وللجرب في الابل اذا قفل قد توسف جلده
وتقشر جلده وتقشقش. فان قيل قال ابن عباس رضي الله عنه
سبب نزولها ان الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود
ابن عبد المطلب وامية بن خلف لقوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا يا محمد فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد ونشترك
نحن وانت في امرنا كله فان كان الذي جئت به خيرا مما بايدينا
كنا قد شركناك فيه واخذنا بحظنا منه وان كان الذي بايدينا
خيرا مما بيدك كنت قد شركتنا في امرنا واخذت بحظك منه
فانزل الله تعالى قل يا ايها الكافرون ونزل قوله تعالى قل افغير
الله تامروني اعبد ايها الجاهلون فغدا رسول الله صلى الله
عليه الى المسجد الحرام وفيه الملا من قريش فقام صلى الله عليه وسلم
فقراها عليهم حتى فرغ من السورة فايسوا منه عند ذلك. وروى
ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنه انهم قالوا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم لو استلمت بعض هذه الالهة لصدقناك فنزل جبريل
عليه الصلوة والسلام بهذه السورة فيئسوا منه واذوه واذوا اصحابه
فان قيل لم وصفهم في هذه السورة بالكافرين وفي السورة الاخرى
بالجاهلين كما تقدم. فالجواب لان هذه السورة بتمامها نزلت
فيهم فيكون المبالغة فيها اشد فبولغ هنا بالوصف الاشنع وهو
الكفر لانه مذموم مطلقا والجهل كالشجرة والكفر كالثمرة فقد
لا يذم عند التقييد كقوله صلى الله عليه وسلم علم الانسان
علم لا ينفع وجهل لا يضر. فان قيل قال في سورة التحريم يا ايها
الذين كفروا بغير قل وههنا جل وعز ذكر قل وذكر باسم الفاعل
فالجواب انه في سورة التحريم انما يقال لهم يوم القيمة وثم
لا يكون رسولا اليهم فازال الواسطة ويكونون في ذلك الوقت
مطيعين لا كافرين فلذلك ذكره بلفظ الماضي واما ههنا فكانوا
موصوفين بالكفر وكان الرسول صلى الله عليه وسلم رسولا اليهم
فقال تعالى قل يا ايها الكافرون. فان قيل هذا خطاب مع الكل
وكان فيهم من يعبد الله تعالى كاليهود والنصارى فلا يجوز

يقال

ان يقال لا اعبد ما تعبدون ولا يجوز ايضا ان يكون قوله ولا انتم
عابدون ما اعبد خطابا مع الكل لان في الكفار من امن فعبد الله
فالجواب ان هذا الخطاب مشافهة مع اقوام مخصوصين وهم الذين
قالوا نعبد الهك سنة وتعبد الهتنا سنة. وايضا لو حملنا الخطاب
على العموم دخله التخصيص واذا حملناه على خطاب المشافهة
لم يلزم ذلك. فصل قال القرطبي الالف واللام ترجع الى معنى
المعهود وان كانت للجنس من حيث كانت لانها مخاطبة
لما سبق في علم الله تعالى انه سيموت على كفره فهي من الخصوص الذي
جاء بلفظ العموم ونحوه عن الماوردي نزلت جوابا وعتابا للكافرين
معينين لا لجميع الكافرين لان منهم من امن فعبد الله تعالى ومنهم
من مات على كفره ومنهم المخاطبون بهذا القول وهم المذكورون
فصل قال ابن الانباري وقرا من طعن في القران قل للذين
كفروا لا اعبد ما تعبدون وزعم ان ذلك هو الصواب وذلك
افترا على رب العالمين وتضعيف لمعنى هذه السورة وابطال
ما قصد الله من ان يذل نبيه المشركون بخطابه اياهم بهذا
الخطاب الذري والزامهم ما ياتف منه كل ذي لب وحجى وذلك
ان الذي يدعيه من اللفظ الباطل قراتنا تشتمل عليه في المعنى
وتزيد تاويلا ليس عندهم في باطلهم وتحريفهم فمعنى قراتنا
قل للذين كفروا يا ايها الكافرون دليل صحة هذا ان العربي اذا
قال لمخاطبه قل لزيد اقبل الينا فمعناه قل لزيد يا زيد اقبل
الينا فقراتنا احسن لفظا وابلغ معنى اذ كان الرسول
صلى الله عليه وسلم يعتمدهم في ناديهم فيقول لهم يا ايها الكافرون
وهو يعلم انهم يغضبون من ان ينسبوا الى الكفر ويدخل في جملة
اهله الا وهو محروس ممنوع من ان يبسط عليه صلى الله عليه
وسلم يدا ويقع به من جهتهم اذية فمن لم يقرا قل يا ايها الكافرون
كما انزلها الله اسقط اية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسبيل
اهل الاسلام ان يسارعوا الى مثلها ولا يبعدوا انفسهم باحراز
الفضائل عند الذي منحه الله تعالى وشرفهم بها. فصل قال ابن
الخطيب روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان يا نداء النفس
واي نداء القلب وها نداء الروح وقيل يا نداء الغائب واي للحاضر
وها للتنبيه كانه عز وجل يقول ادعوك ثلاثا ولا تجيبني مرة. قوله
لا اعبد ما تعبدون ما في هذه السورة يجوز فيها وجهان احدهما بمعنى
الذي فان كان المراد الاصنام كما في الاولى والثالثة فالامر واضح لانهم
غير عقلاء وما اصلها ان تكون لغير العقلاء واذا اريد بها الباري تعالى
كما في الثانية والرابعة فاستدل به من جوز وقوعها على اولي العلم ومن
منع جعلها مصدرية والتقدير ولا انتم عابدون عبادتي اي مثل
عبادتي. وقال ابو مسلم ما في الاوليين بمعنى الذي والمقصود المعبود
وما في الاخريين مصدرية اي لا اعبد عبادتكم المبنية على الشك وترك
النظر ولا انتم تعبدون مثل عبادتي المبنية على اليقين فيحصل من
مجموع ذلك ثلاثة اقوال انها كلها بمعنى الذي او مصدرية او الاوليان
بمعنى الذي والثانية بمعنى والرابعة مصدرية لكان حسنا حتى لا يلزم
وقوع ما على اولي العلم وهو مقتضى قول من منع وقوعها على اولي العلم
كما تقدم. فصل اختلفوا في التكرار ههنا هل هو للتاكيد ام لا

King Saud University
Copyright King Saud University